الاستعدادات والمداولات السياسية التي سبقت الحرب العالمية الأولى

خلال الفترة التي سبقت الحرب العالمية الاولى كانت الاستعدادات والمداولات السياسية الرامية الى رسم خارطة جديدة لبلدان الشرق الادنى التي تنوي الدول الغربية احتلالها والى مساعدة الحركة الصهيونية في اقامة وطن يهودي في فلسطين . . كانت المناقشات تقوم على قدم وساق سرّية احيانا وعلنية احيانا اخرى . . وكانت تدور هذه المناقشات والاتجاهات والمداولات على مستوى الدول والوزراء مع زعماء الحركة الصهيونية العالمية التي تولى امورها " الدكتور حاييم وايزمان " الذي اصبح اول رئيس للكياني الصهيوني في فلسطين بعد اعلان قيام دولة اسرائيل في فلسطين عام ١٩٤٨ وفيما يلي سوف اوجز تلك الاستعدادات والمناقشات التي سبقت الحرب العالمية الاولى فيما يتعلق بدور الصهيونية في تلك الحرب .

في التاسع من شهر نوفمبر، تشرين الثاني لعام ١٩١٤ كان رئيس وزراء بريطانيا السير " أسكويت " القى خطابا في قاعة " غيلدهول " في العاصمة البريطانية لندن . . اعلن فيه صراحة بأن تركيا اقدمت على الانتحار بسبب تحالفها مع المانيا ودفعت قيصر المانيا لوقف دعمه للحركة الصهيونية وتمكن ذلك التحالف التركي – الالماني ان ينجح في وقف ذلك الدعم .

مقابل هذا الزم السلطان العثماني نفسه لنصرة المانيا فيما لو وقعت حرب ضدها وكان على وشك اعلان الجهاد الاسلامي . . وفي الجانب الآخر من المشهد الدرامي للحرب فقد كان " اسكويت " يرغب في منع مائة مليون مسلم من رعايا الامبراطورية البريطانية من الانضمام الى تركيا . . وكان في خطاباته قد الزم بريطانيا بتحقيق هزيمة للامبراطورية العثمانية وتحرير شعبها من الاستعباد التركي حسب وصفه . . تماما كما فعل الامريكيون في احتلال العراق حيث زعموا واشاعوا عن طريق الاعلام المأجور ان القصد من احتلال العراق هو تخليص العراقيين من حكم حزب البعث برئاسة صدام حسين الذي اطلقوا عليه لقب " جزار بغداد " وكان ذلك للتغطية على حقيقة اطماع الامريكيين باحتلال منابع النفط العراقي التي كان صدام حسين قد اعلن تأميمها .

رئيس وزراء بريطانيا " السير اسكويت " كان بذلك يضيف دون ان يشعر ، على الاقل وضعا صعبا الى " بانوراما " الدولة الصهيونية وكان يعتقد انه بزوال الحكم التركي عن فلسطين فلن تكون عوائق امام اقامة وطن قومي لليهود هناك . بمعنى ان التخطيط لاقامة دولة يهودية واغتصاب الارض الفلسطينية كان يداعب الفكر البريطاني . .

وقد عملت بريطانيا منذ بداية القرن العشرين على تنفيذ الاحلام اليهودية بوطن يهودي في فلسطين بشكل عملي وتعاوني بين الحركة الصهيونية العالمية وبين الدول الغربية على رأسها بريطانيا وفرنسا وروسيا ايضا . . وكان رئيس وزراء بريطانيا يأمل من اليهود التطوع في صفوف الجيش البريطاني لقتال الالمان والاتراك ان يساندوا القوات البريطانية والفرنسية والروسية في الحرب المخطط لها . . الا ان ظاهرة غامضة برزت للوجود اذ ان اليهود لم يكونوا راغبين في التطوع لمقاتلة الالمان حيث كان العدو المميت لهم هو قيصر روسيا . . وكان الجيش الالماني ينتظر ان يهزم القوات الروسية . . فقام اليهود الذين يتكلمون اللغة الالمانية والذين قادهم " ماكس كيثرمان " بالتوقيع على عريضة بدعم المانيا في حربها ما عدا العالم اليهودي " اينشتاين " وكان الوحيد من طبقة المثقفين اليهود الذي رفض التوقيع على تلك العريضة . . . وهكذا تواصلت الاسترضاءات والتهديدات احيانا لليهود للانضمام الى هذا المعسكر او ذاك . . غير ان اليهود بطبيعتهم الماكرة ظلوا ينتظرون ليروا كفة الميزان الى اين تميل ليميلوا معها .

ولما بدأت الحرب عام ١٩١٦ تمكنت القوات الالمانية من دحر الجيش الروسي في معركة " تانينبرغ " واندفع الالمان الى قلب بولندا الروسية واستقبلهم يهود بولندا باعتبارهم منقذين ومخلصين ، والذي تزعم حركة الاستقبال هذه كان " زئيف دون بيغن " والد " مناحيم بيغن " الذي كان رئيسا لاركان الجيش الاسرائيلي بعد قيام دولة اسرائيل ثم رئيسا للوزراء في اسرائيل وبقي كذلك الى ان جرى اغتياله على يد يهودي سفرادي متطرف . . كان والده زئيف يتحدث الى جانب الالمانية والعبرية عدة لغات منها "اليديش "التي كان يتداولها اليهود الاشكنازيون وكان زئيف يفضل التحدث بالالمانية برغم ان اليديش هي رطانة المانية قديمة وكان يسمي هذه اللغة " لغة معاداة السامية "

مناحيم بيغن

زئيف لعب دورا مهما في توجيه ابنه " مناحيم" وقال له يوما " انظر يا بني . . الالمان سوف يجيئون . . . انها ثقافة مختلفة فهي غير روسية . . . والجيش الروسي اثناء انسحابه ضرب نطاقا حول اليهود واقتادهم تحت السياط الى سيبيريا وذلك من ضمن النوايا الشريرة لسياسة " جوزيف ستالين " الخاصة بالاقليات . . . لقد شاهدنا الكوزاك وهم يحرقون القرى اليهودية ولكن عندما جاء الالمان عاملوا اليهود بشكل رائع . . .

كانت في فلسطين في ذلك الوقت عدة مستوطنات المانية واغلبها كانت مستوطنات زراعية . . كما ان الكثيرين من السمتوطنين اليهود في فلسطين كانوا يفضلون اللغة الالمانية على العبرانية وطالبوا بأن تكون الالمانية هي لغة